(22) نعيم بن مسعود رضي الله عنه

لا نعرف عنه شيئًا قبل إسلامه، وبعد إسلامه لم ترو لنا كتب التاريخ والسير إلا موقفه يوم غزوة الأحزاب.

إنه رجل بجيش، خذل الله تعالى به الأحزاب عن المسلمين، وكان سبب فرقتهم وافتراقهم.

***

بعث الله تعالى محمداً بن عبد الله رسولاً إلى الناس جميعًا، صدق به من صدق، وكفر به من كفر، وحاربه من حارب، فكانت للمسلمين الغلبة فى غزوة بدر الكبرى، وفى غزوة أحد لم تثأر قريش لقتلاها يوم بدر بما فيه الكفاية، ولذلك قررت الهجوم على المدينة المنورة بجيش ضخم لاستئصال شأفة المسلمين نهائيًا[1]، خاصة بعد أن حرضتها يهود بنى النضير كما حرضت قبيلة غَطَفَان التى منها نعيم بن مسعود رضي الله عنه فاجتمع للمشركين جيش قوامه عشرة آلاف مقاتل بقيادة أبى سفيان بن حرب، وتوجهوا نحو المدينة المنورة فى شوال من السنة الخامسة للهجرة، وعند وصولهم فوجئوا بمكيدة لم يعرفونها من قبل فى حروبهم ألا وهى حفر خندق حول المدينة يمنع دخولهم إليها.

وداخل المدينة كان بعض أفراد يهود بنى النضير قد تسللوا داخلها والتقوا بزعماء بن قريظة، وحرضونهم على خوض الحرب مع الأحزاب ضد المسلمين، ومازالوا بهم حتى نقضوا عهدهم مع رسول الله ﷺ، وأعلنوا انضمامهم إلى الأحزاب، ووقع المسلمون بين فكى العدو، من خارج الخندق قريش وغطفان، ومن داخل المدينة يهود بنى قريظة الذين تعهدوا بفتح الطريق من ناحيتهم لدخول المدينة، وضَرْب المسلمين من خلف ظهورهم، وأصبح المسلمون كما قال الله عالى فيهم ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً﴾ [الأحزاب: 10، 11].

---

(1) استئصال شأفة المسلمين: إبادتهم وإزالتهم تمامًا.

وسط هذا الكرب العظيم، والبلاء المبين، والزلزال الشديد، خرج رجل من معسكر الأحزاب مستتراً بظلام الليل قاصداً معسكر المسلمين.

***

لم يكن هذا الرجل سوى نعيم بن مسعود رضي الله عنه الذى وصل إلى معسكر المسلمين مسلمًا، مقراً بوحدانية الله تعالى، وبنبوة محمد بن عبد الله ﷺ.

وقف نعيم رضي الله عنه بين يدى رسول الله ﷺ، وقال له: يا رسول الله، إنى نعيم بن مسعود، وإنى قد أسلمت، وإن قومى لم يعلموا بإسلامى، فمرنى بما شئت. فقال النبى ﷺ: «**إنما أنت فينا رجل واحد، فخذّل[1] عنا إن استطعت، فإن الحرب خدعة**». فقال نعيم رضي الله عنه: نعم يا رسول الله سأفعل، وعسى الله أن يريك منى ما يسرك.

ثم خرج نعيم بن مسعود رضي الله عنه، وكان قد أعد خطة محكمة تعتمد على توفيق الله تعالى أولاً ثم على عدم العلم بإسلامه من جانب الأعداء واستغلال جهلهم بهذا الأمر، وعلى ثقة يهود بنى قريظة وكذلك قريش به، ذهب نعيم رضي الله عنه إلى يهود بنى قريظة، وقد كان لهم قبل إسلامه صاحبًا ورفيقًا، وقال لهم: يا بنى قريظة، قد عرفتم ودى لكم وصدقى فى نصحكم، وخاصة ما بينى وبينكم. فقالوا: صدقت، فأنت عندنا غير متّهم، تكلم، ماذا عندك من نصح؟ قال: إن قريشًا وغَطَفَان ليسوا كحالكم فى هذه الحرب. فسألوا: كيف؟ فأجاب: إن بلادهم وأموالهم ونساءهم ليست هنا، فإن وجدوا نصراً أحرزوه، وإلا عادوا إلى بلادهم وأموالهم ونسائهم وتركوكم وحدكم مع محمد، ولا طاقة لكم بحربه. فنظر بعضهم إلى بعض ثم قالوا: صدقت والله فيما قلت. فماذا ترى؟. قال: الرأى عندى ألا تقاتلوا معهم حتى تأخذوا طائفة من أشرافهم رهنًا يكونون بأيديكم، وبذلك تحملونهم على القتال معكم. فقالوا: أصبت وأشرت بالرأى.

ثم خرج نعيم رضي الله عنه من عندهم قاصدًا قريشًا. فقال لأبى سفيان بن حرب ومن معه: يا معشر قريش، لقد عرفتم ودى لكم وعداوتى لمحمد، وقد بلغنى أمر رأيت من حقى أن أبلغكموه، فأنا لكم ناصح أمين، وأرجو أن تكتموه عنى. فقالوا له: نفعل، فما هو هذا الأمر الذى بلغكم. قال: إن بنى قريظة قد ندموا على نقضهم عهد محمد، فأرسلوا إليه يقولون له إنهم قد ندموا على ما فعلوا وإنهم اتفقوا على

(1) خذّل: ادخل بين العدو وأضعف همته.

أخذ رهائن من أشرافكم ومن أشراف غَطَفَان يعطونها لمحمد يضرب أعناقهم، ثم ينضمون إليه لحربكم، فرضى بذلك منهم، فإن أرسلوا إليكم يطلبون رهائن من أشرافكم فلا تدفعوا إليهم رجلاً واحداً.

فقال أبو سفيان: نعم الحليف أنت يا نعيم، بوركت وجوزيت خيراً، ثم خرج نعيم رضي الله عنه من عند قريش، وأتى غَطَفَان.

فقال لهم: يا معشر غَطَفَان، إنكم أهلى وعشيرتى وأحب الناس إلىّ، ولا أراكم تتهمونني. قالوا: صدقت، ماذا تريد أن تقول.

فقال لهم مثل ما قال لقريش، وحذرهم مما حذرهم منه. . . . وأرادت قريش وغَطَفَان أن يختبرا بنى قريظة.

* * *

أرسل أبو سفيان بن حرب زعيم قريش، وأرسل كذلك زعماء غطفان وفداً إلى بنى قريظة يقولون لهم: لقد طال الحصار حتى مللنا، فاستعدوا غداً، فإنا قدعزمنا على الهجوم على محمد وأصحابه.

فقال زعماء اليهود: إن غداً يوم السبت ـ وكان ذلك من تقدير الله تعالى ـ وهو يوم لا نعمل فيه شيئًا، ومع هذا فلن نقاتل معكم حتى تعطونا رهائن من أشراف رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا، فإننا نخشى أن تعودوا إلى بلادكم وديياركم، وتتركونا لمحمد وأصحابه، ونحن لا طاقة لنا به. .

وعادت رسل قريش وغطفان إليهما وأخبراهما بما قال بنو قريظة. فقالوا: إن الذى حدثكم به نعيم بن مسعود لحق، ثم وقعت الفرقة بين الفريقين، وشتت الله شملهم، وفرق جمعهم، ثم أرسل عليهم ريحًا شديدة البرودة فى ليلة شديدة الظلمة، فعادوا خائبين والحسرة تمزق قلوبهم.

وصدق الله وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: 25].

* * *

بعد هذا الموقف البطولى عاش نعيم بن مسعود رضي الله عنه فى المدينة المنورة مع رسول الله ﷺ ووسط إخوانه من الصحابة، حتى كانت السنة الثامنة للهجرة، وفيها تم فتح مكة، ونال نعيم بن مسعود رضي الله عنه شرف حمل أحد ألوية غطفان، كما نال شرف الصحبة الكريمة.

وعاش نعيم بن مسعود رضي الله عنه حاملاً الإسلام فى قلبه اسمًا وسلوكًا وأخلاقًا حتى توفى فى عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فرضى الله عنه وألحقه بالصالحين.

***